



السَّارِق

بِحِكْمَةِ تَقْدِيرِ رَبِّهِ الْعَلِيِّ فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ أَهْلِ الشَّهْرِ

الرئيس العام

الدكتور الفاضل الشيخ محمد صالح المنجد

أبريل
مايو
يونيو
٢٠٢٤م

تُصَدِّرُهَا

الجامعة الإسلامية

بمظفر فوراً أعظم جارة، يو. بي (الهند)

من أهداف المجلة

أولاً:

تعريف التراث الإسلامي بالأخص تراث السنة النبوية الشريفة.

ثانياً:

محاربة البدع وفساد العقيدة.

ثالثاً:

توجيه الشباب المسلم إلى الاختيار بالوسطية والاعتدال في

الفكر والعمل.

رابعاً:

اتصال بالمراكز العلمية والإسلامية في العالم الإسلامي

والعربي عن تنسيق العمل بين هذه الجامعة وبين العلماء

والباحثين بالعمل المشترك في هذا المجال العملي.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

السَّارِقُ

مجلة ثقافية إسلامية عربية تصدر في كل ثلاثة أشهر

أبريل
مايو، يونيو
م ٢٠٢٤

المجلد التاسع
العدد الثاني

الرئيس العام

الدكتور الدكتور نبي الدين الندوي

الهيئة الاستشارية

فيروز خان الندوي
السيد جواد احمد الندوي

هيئة التحرير

د. فريد الدين الندوي
محمد رفيع الندوي



مجلة السارق لعزيمية الجامعة الإسلامية

مظفر بورا عظيم جراه يوبي (الهند)

Alshariq Arabic, Jamia Islamia

MUZAFFARPUR-AZAMGARH (U.P.) 276302 INDIA

محتويات العدد

الصفحة	العناوين
	الافتتاحية:
٣	نادية بلغازي دعوى الدين الإبراهيمي الجديد
٥	سيف الدين باكير جرائم الأسد التي لا تُغتفر
١١	عثمان الثويني المعلم بطل حكاية التغيير
١٤	د. عبد العليم عبد العظيم البستوي إياك وسجن بولس
١٦	ممدوح محمد نصر الدين الخطيب والخطابة
٢٤	الدكتور أحمد علي سليمان توجهات تربوية نبوية
٣٠	الدكتور آمال محمد عتيبة تجليات نورانية وتأملات إيمانية في دعاء زكريا عليه السلام
٤٠	إدارة التحرير روائع من الأدب العربي

السلامة

مجلة ثقافية إسلامية عربية

تصدر في كل ثلاثة أشهر

الجامع الإسلامي

مظفر فور أعظم جراه يوبي (الهند)

* المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر -بالضرورة- عن رأي المجلة.

* الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة الشارح لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

الاشتراكات السنوية

في الهند: ١٠٠ روبية

عن النسخة: ٢٥ روبية

في العالم العربي: ٢٠ دولاراً

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم

Zakaria Book Depot

A/c No: 36723697140

IFS Code: SBIN0014131

S.B.I. Muzaffarpur Gaon

Azamgarh

الجوال: (+918795565555)

التزيين: محمد أنس المعروفي

دعوى الدين الإبراهيمي الجديد

بقلم: نادية بلغازي

تتضافر الدعوات من هنا وهناك للدعوة لتوحيد الأديان تحت مسمى الدين الإبراهيمي، مع ما يفرض ذلك من بناء دور عبادة الرسائل السماوية الثلاث متجاوزة قرب المطارات والساحات العامة والأماكن الأهلة وما إلى ذلك، وطباعة التوراة والإنجيل والقرآن بين دفقي كتاب واحد...

لا يخفى ما يثيره هذا التوجه الذي بدأ تنزيله للأسف من توجسات حقيقية، ومطالب ملحة، واستفهامات مشروعة عند كل من يعرف من الدين ما يعلم منه بالضرورة، ومن الوضع العالمي العام أبجدياته الأولى، كما لا يخفى ما ينبغي أن يبذل من الجهود للتصدي لهذه الهجمات الشنيعة على الدين.

لا يكتمل إيمان المؤمن أصلاً إلا إذا صدق بكل الرسائل السماوية، وبرسلها الذين ابتعثهم الله تعالى لهداية البشر، لكن تدير الله الذي لا يُسأل عما يفعلُ اقتضى أن تنزل الكتب من مشكاة واحدة، وتختتم بالقرآن الكريم الذي هيمن على سابقه من الكتب بل ونسخها، فضلاً عن ما طالها من التحريف والتزوير الذي لا يخفى على ذي لب. فأصبحت إجمالاً لا تمثل حقيقة الوحي الإلهي.

فكيف بعد هذا نتصور طباعة كتاب الله تعالى الخاتم مع التوراة والإنجيل! وكأنا ندعو نحن معاشر المسلمين إلى اعتناق ما نؤمن بارتفاع حكمه، أو كأنا نجتمع الناس على ما ينبغي تصحيحه من الأفكار والتمثلات والمعتقدات. قال تعالى في سورة

النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَمَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

ثم إن بناء مجمع البيوت المقدسة: أليس تدليساً على الناس وإيهاماً لهم بإمكانية الاختيار بين الرسائل دون حرج، عوض تبليغ خطاب الله تعالى واضحاً بيناً للناس، ولهم بعد ذلك أن يختاروا ما اطمأنت له قلوبهم واقتنعت به عقولهم عن بينة وتبصر.

هي عوامة التدين ولا شك، وضربة قاصمة موجّهة للإسلام بعد فشل محاولات تنحيته، الغاية منها تمييع أصوله وخلطها خلطاً مستهجنأً مع معتقدات لا تتلاءم في عمومها مع أصالته وعمقه وشموليته وخصائصه المميزة التي جعلت منه ديناً عصياً على التحريف والتبديل. هي صورة لصد الناس عنه بعد أن صاروا يدخلون في رحابه أفواجا من كل بقاع الأرض.

هي دعوة ماكرة لاجتثاث أصالته، حري بمن في قلبه ذرة من إيمان أن يتحرك بكل ما أوتي من جهد وعلم وفهم لصد هذا العدوان الميئت، والتحسيس والتوعية بخبث المخطط حمايةً للدين، حتى لا يؤتى من قبل المتطوعين والممالئين وبعض المتأسلمين، حاديننا جميعاً قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

يقول الإمام ابن كثير مفسراً للآية الكريمة: وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده، يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل.



(من موقع منار الإسلام)

جرائم الأسد التي لا تُغتفر

في أقبية السجون السورية

تقرير - سيف الدين باكير:

في ٨ ديسمبر ٢٠٢٤م، شهدت سورية يوماً تاريخياً مع سقوط نظام بشار الأسد، واستيلاء فصائل المعارضة على مناطق واسعة من البلاد؛ ما أسفر عن تحرير الآلاف من المعتقلين، ومع هذا الحدث، تكشف حقائق مروعة عن الجرائم الوحشية التي ارتكبتها النظام بحق الشعب السوري طوال سنوات حكمه، وشهادات الناجين كشفت وحشية غير مسبوقة، وسردت فصولاً سوداء عن التعذيب والإعدام الجماعي الذي طال مئات الآلاف من الأبرياء.

من بين تلك المشاهد المؤلمة، برز تعليق لأحد السجناء الناجين من جحيم سجن «صيدنايا»، المعروف بسمعته السيئة، حيث قال: «الآن نحن في وسط دمشق، أقسم بالله أن إعدامنا مع ٥٤ شخصاً آخرين كان مقرراً اليوم قبل نصف ساعة.. الحمد لله»، هذا التصريح جاء بعد إسقاط نظام الأسد على يد المعارضة وإطالق سراح المعتقلين.

لكن ما خطف الأنظار حقاً كان مشهد طفل صغير، لا يتجاوز عمره ٣ سنوات، يخرج من إحدى الزنازين مذهولاً؛ بينما يسأل أحد عناصر المعارضة بذهول: «من هذا الطفل؟! لا حول ولا قوة إلا بالله»، سرعان ما ظهرت سيدة، على ما يبدو أنها والدته، لتمسك بيديه في مشهد يعجز الوصف عن استيعابه!

فضائع الاختفاء القسري:

كشفت تقرير حقوقى سورى^[١]، فى أغسطس ٢٠٢٤م، عن حقائق صادمة حول ملف المخفيين قسراً فى سورية خلال حكم نظام بشار الأسد، وأظهر التقرير أن عدد المخفيين المسجلين بلغ ٩٦٣٢١ شخصاً، بينهم ٢٣٢٩ طفلاً، و٥٧٤٢ سيدة، اختفوا قسراً على يد قوات النظام، وأشار التقرير إلى أن ما لا يقل عن ٨٥% من هؤلاء المخفيين قُتلوا تحت التعذيب، وفق تقديرات الشبكة؛ ما يعكس حجم الانتهاكات التي ارتكبت.

كما وثقت الشبكة وفاة ١٦٣٤ شخصاً من المخفيين قسراً، بينهم ٢٤ طفلاً، و٢١ سيدة، و١٦ من الكوادر الطبية، تم تسجيلهم كمتوفين فى دوائر السجل المدني منذ عام ٢٠١٨ وحتى أغسطس ٢٠٢٤م، وأكد التقرير أن ظاهرة الاختفاء القسري تفاقمت منذ اندلاع الحراك الشعبي فى مارس ٢٠١١م، حيث أصبحت أداة إستراتيجية للنظام السورى لتعزيز سيطرته والقضاء على معارضيه.

وأكد مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني وجود سجنين سرين على الأقل غير معروفين فى سورية^[٢]، مشيراً إلى أن عدد معتقلي سجن «صيدنايا» وحده يُقدر بنحو ١١ ألفاً، خرج منهم حوالي ألفي شخص فقط، كما فرّق عبد الغني بين المخفيين قسراً والمتعقلين، موضحاً أن عدد المعتقلين فى السجون السورية يبلغ نحو ١٤٠ ألفاً، وهم منفصلون عن المخفيين قسراً الذين يُقدر عددهم بما لا يقل عن ١٠٠ ألف.

ومن سجن «صيدنايا» إلى سجن «تدمر»، ومن سجن «المزة» إلى سجن

[١] الشبكة السورية لحقوق الإنسان.

[٢] مقابلة مع التلفزيون العربى.

« حلب »، كانت السجون السورية بمثابة مراكز قمع لا تعرف الرحمة، فبعد الثورة السورية، تم توثيق مئات الآلاف من حالات الاعتقال التعسفي والتعذيب الممنهج، بالإضافة إلى عشرات السجون السرية التي كانت تستخدمها أجهزة النظام للاحتجاز السري والإعدام خارج القانون.

في عام ٢٠١٢م، وثقت منظمة « هيومن رايتس ووتش » ما يزيد على ٢٠ طريقة مختلفة للتعذيب تستخدم في أقبية التعذيب السورية، تشمل الضرب المبرح واللكم والركل لفترات طويلة، والضرب بالأسلاك والسياط والعصي والمواسير، وتثبيت المعتقلين في أوضاع مؤلمة أو مجهدة لمدد طويلة، باستخدام أدوات خاصة في أحيان كثيرة، والاعتداء الجنسي والإذلال، وانتزاع الأظافر، والإعدام الوهبي، والصعق والتعليق مع قلب الرأس إلى أسفل، وبتف اللحية، واستخدام الأحماض لحرق الجلد، وغيرها من الأساليب الممنهجة^[١].

« صيدنايا » ... المسلخ البشري!

ويعتبر سجن « صيدنايا » أحد أكثر الأماكن سرية في سورية، حيث بث اسمه الرعب في نفوس السوريين، فقد تأسس السجن في الثمانينيات، وأطلقت عليه منظمة العفو الدولية وصف « المسلخ البشري »! والسجن الذي « تذبح فيه الدولة السورية شعبها بهدوء »! وهو يقع على تلة صغيرة بالقرب من بلدة صيدنايا الجبلية شمال دمشق، ويتألف من بناءين رئيسيين: القديم (البناء الأحمر)، والجديد (البناء الأبيض)، تقدر مساحته بـ ٤، ١ كيلومتر مربع.

في أكتوبر ٢٠٢٢م، أصدرت « رابطة معتقلي ومفقودي سجن صيدنايا »

[١] أقبية التعذيب.. الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء القسري في مراكز الاعتقال السورية منذ مارس ٢٠١١م، هيومن رايتس ووتش.

تقريراً^[١] كشفت فيه تفاصيل دقيقة عن سجن «صيدنايا»، مستندة إلى شهادات من موظفين منشقين ومعتقلين سابقين، وبين التقرير كيفية تنفيذ عمليات التعذيب والقتل الممنهج في السجن، التي ترقى إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية، حيث لقي ما لا يقل عن ٣٠ ألف معتقل حتفهم بين عامي ٢٠١١ و ٢٠١٨ م. وسلط التقرير الضوء على إنشاء ما يُسمى بـ«غرف الملح»، وهي أماكن خُصصت لحفظ جثث المعتقلين الذين قضوا نتيجة التعذيب أو الجوع، لحين نقلها إلى مستشفى تشرين العسكري، ويعتقد أنه بين عامي ٢٠١٨ و ٢٠٢١ م أعدم النظام السوري ما لا يقل عن ٥٠٠ معتقل إضافي، وفقاً لشهادات ناجين وثقتها الرابطة. كما يكشف التقرير عن التدابير الأمنية المشددة في سجن صيدنايا، حيث يتم تأمينه بـ ٣ مستويات أمنية، تضم مئات الحراس المتمركزين في مواقع متعددة داخل السجن، والجدران الخارجية للسجن يحميها موظفو سجن الشرطة العسكرية (المعروفة بالشركة الخارجية)، والفرقة الثالثة للجيش السوري، الذين يشكلون الخط الدفاعي الأول ضد أي تهديدات خارجية أو محاولات هروب. وبحسب التقرير، يقوم نحو ٤٠ - ٥٠ فرداً من «اللواء ٢١» التابع للفرقة الثالثة بتأمين محيط السجن بين الجدران الداخلية والخارجية، في حين تتولى وحدات منفصلة مسؤولية تأمين الجزء الداخلي من السجن، ومراقبة المعتقلين وضمان تأديبهم، كما يحيط بالسجن حقلاً ألغام: أحدهما داخلي يحتوي على ألغام مضادة للأفراد، والآخر خارجي يحتوي على ألغام مضادة للدبابات. ويضيف التقرير أن هناك وحدة خاصة مكلفة بمراقبة جميع الاتصالات الأرضية واللاسلكية الصادرة والواردة إلى السجن والمنطقة المحيطة به، وكذلك

[١] الهيكلية الإدارية لسجن صيدنايا وعلاقاته التنظيمية، رابطة معتقلي ومفقودي سجن صيدنايا (ADMSP).

جميع الاتصالات اللاسلكية القريبة.

أما بالنسبة لجثث المعتقلين الذين يعدمون، فيشير التقرير إلى أنه يتم نقلها في شاحنات تبريد مخصصة لحفظ اللحوم، حيث تدفن في مقابر جماعية بعد أن يتم فحصها في مستشفى تشرين العسكري وإصدار شهادة وفاة.

« تدمر » ... تاريخ دموي:

يقع سجن «تدمر» قرب مدينة تدمر الصحراوية، وقد شيده الفرنسيون، وعلى مدار حكم الرئيس الراحل حافظ الأسد، ومن بعده ابنه بشار، اشتهر السجن بارتكاب مجازر وحشية وعمليات تعذيب قاسية بحق المعتقلين، وبحسب تقرير منظمة «هيومن رايتس ووتش»، تم اعتقال نحو ٢٥٠٠ شخص بالسجن، في ديسمبر ٢٠١١م. كما شهد واحدة من أبشع المجازر في تاريخ النظام السوري، في ٢٧ يونيو ١٩٨٠م، حيث أودت بحياة مئات السجناء، وكان أغلبهم من جماعة الإخوان المسلمين المعارضة^[١]. وفي عام ٢٠٠١م، نشرت منظمة العفو الدولية تقريراً وصفت فيه السجن بأنه « مصمم لإنزال أكبر قدر من المعاناة والإذلال والخوف بالنزلاء »^[٢].

« المزة » ... قلعة للقمع السياسي:

يقع سجن « المزة » على هضبة مرتفعة قرب الجبل الذي بُني عليه قصر الشعب في دمشق، وتأسس عام ١٩٢٣م من قبل الفرنسيين على أنقاض قلعة عثمانية، ويعد واحداً من أخطر السجون السورية التي يزج بها معظم المعارضين، من سياسيين وعسكريين ونشطاء ومثقفين، دخله العديد من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وفي ١٣ سبتمبر ٢٠٠٠م، أعلنت السلطات السورية عن إغلاق السجن

[١] سجون الأسد.. جحيم يتمنى فيه المعذبون الموت، الجزيرة نت.

[٢] SYRIA: TORTURE, DESPAIR AND DEHUMANISATION IN TADMUR MILITARY PRISON AMNESTY INTERNATIONAL. [٢]

ونقل نزلته إلى أماكن أخرى، مدعية أنه سيحوّل إلى معهد للتاريخ أو متحف.
«عدرا» .. معاناة للنساء:

يقع سجن «عدرا» في مدينة عدرا بمحافظة ريف دمشق، شهد العديد من الإضرابات احتجاجاً على ظروف الاعتقال السيئة، حيث تتعرض فيه المعتقلات السياسيات لظروف قاسية مشابهة لتلك التي يعاني منها الرجال، بما في ذلك الإهانة، والضرب، والتعذيب، وحتى الاغتصاب^[١].

سجن فرع المخابرات الجوية:

يعد سجن «فرع المخابرات الجوية» ضمن أحد أكثر المواقع رهبة في دمشق، يقع في مطار المزة العسكري، حيث يضم ما لا يقل عن ٣ مراكز اعتقال. ويصف معتقلون سابقون أحد هذه المراكز، الذي يُعتقد أنه مبنى مخصص للتحقيقات، بأنه مبنى أبيض كبير ومسطح من طابق واحد، تحيطه أسلاك شائكة، يتكون من طابقين تحت الأرض، يتميزان بسقوف منخفضة، ويحتوي الطابق الأول على زنازين جماعية، في حين يضم الطابق الثاني ١٢ زنزانا انفرادية على الأقل وحجرة كبيرة تُستخدم لأغراض التعذيب.

ووفقاً لشهادات معتقلين سابقين ودمشقيين، يجمع المعتقلون عادة في فناء السجن قبل نقلهم إلى الزنازين، ويذكر أن هذا الفناء نفسه يُستخدم للتعذيب^[٢].



[١] المسالخ البشرية في سورية: سجون الأسد الرسمية، العربي الجديد.

[٢] أقبية التعذيب.. الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء القسري في مراكز الاعتقال السورية منذ مارس ٢٠١١م. هيومن رايتس ووتش.

المعلم بطل حكاية التغيير

عثمان الثويني

المعلم هو الجسر الذي تعبر عليه الأمم نحو النهضة، وهو الشعلة التي تنير دروب الأجيال لتصل إلى أفق الحضارة والرقى، لم يكن دوره يوماً مقتصرًا على نقل المعرفة أو حشو العقول بالمعلومات، بل كان ولا يزال صانعاً للوجدان، موجهاً للفكر، وبانياً للقيم، المعلم هو من يحيي النفوس، ويهذب العقول، ويزرع في تربة الأجيال بذور الأمل والإبداع، وكما قال الفيلسوف أرسطو: « نحن لا نولد عقلاء، بل نصبح عقلاء بالتعلم ».

إن دور المعلم يتجاوز قاعات التدريس وحدود المناهج، فهو قائد يصوغ العقول ويبني المجتمعات، التاريخ حافل بأمثلة لأدوار المعلمين في تغيير واقع امم بأكملها. فقد كان العلماء والمعلمون على مر العصور قادة النهضة ومرشدي الإصلاح، تأمل دور العلماء في الحضارة الإسلامية، من ابن خلدون إلى الغزالي، وكيف ساهموا في بناء أمة كانت قائدة للعالم في شتى العلوم والفنون، وحتى في العصر الحديث، نجد دولاً كفنلندا وسنغافورة قد وضعت المعلم في قلب استراتيجياتها التعليمية؛ ما جعلها مثالاً يحتذى به في العالم.

لكن في واقعنا المعاصر، هل نحترم المعلم كما ينبغي؟ نظرة المجتمع للمعلم تؤدي دوراً حاسماً في تمكينه من أداء رسالته، عندما يشعر المعلم بالتقدير من قبل طلابه ومجتمعه، تنبعث في روحه طاقة الإبداع، ويتحول تدريسه إلى شغف، أما إذا أحاطته نظرات التقليل، فإن الحماسة تخبو، وتتحول الرسالة العظيمة إلى مجرد

وظيفة، وكما قال نيلسون مانديلا: التعليم هو أقوى سلاح، يمكنك استخدامه لتغيير العالم»، فإن تمكين المعلم هو الخطوة الأولى نحو استخدام هذا السلاح بفعالية. إن بناء المعلم القائد للتغيير لا يبدأ من المدارس وحدها، بل يتطلب منظومة متكاملة تشمل التدريب، والتأهيل، والدعم، يجب أن يُعدّ المعلم ليكون قائداً مبدعاً قادراً على التفكير النقدي، وفهم طلابه، وتحفيزهم، كما يحتاج إلى بيئة تُعزز من قيمته الإنسانية والمهنية، فلا يُعامل كمجرد ناقل للمعرفة، بل كصانع للتغيير، الإسلام نفسه أعطى المعلم مكانة عظيمة، وبين دوره المحوري في بناء الأمة، حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض؛ حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ».

المعلم يحتاج إلى دعم حقيقي من المجتمع، يبدأ بتقدير دوره واحترام جهوده، ويمر بتحسين ظروف عمله وتقديم برامج مستدامة لتطويره، لكن الأهم من ذلك كله هو إشراك المعلم في صياغة القرارات التعليمية، ومنحه صوتاً في تشكيل السياسات التي تؤثر في رسالته، وكما يقول الإمام الغزالي: « العلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون »، فإن تمكين المعلم بالعلم والعمل هو السبيل لصناعة أجيال قادرة على النهوض بأممتها.

وإذا كان المجتمع شريكاً في نجاح المعلم، فإن الإعلام والمؤسسات التربوية عليهما مسؤولية تعزيز مكانته، الأسرة أيضاً تؤدي دوراً محورياً في دعم المعلم، من خلال التعاون معه في بناء شخصية الطالب، الاحترام المتبادل بين المعلم وأولياء الأمور هو الأساس الذي تقوم عليه علاقة تربوية ناجحة.

المعلم ليس مجرد موظف يؤدي واجباً يومياً، بل هو نبض المجتمع وصانع المستقبل، قال مالك بن نبي: « إذا أردت أن تقيس حضارة أمة فانظر إلى قيمة

التعليم فيها» ، ومن هنا فإن دعم المعلم هو استثمار مباشر في بناء مستقبل مشرق. إن صناعة المستقبل تبدأ من غرفة الصف، وكل معلم يحمل بين يديه مفاتيح الغد، فلا يمكن لأي مشروع نهضوي أن ينجح دون أن يبدأ من المعلم، فهو القائد الذي يصوغ العقول، ويصنع الأمل، إن دعم المعلم وتقديره ليس ترفاً، بل هو واجب وطني وإنساني، لأنه ببساطة يبني أجيالاً تحمل شعلة النهضة.

نحن بحاجة إلى رؤية جديدة تجعل من المعلم شريكاً في صياغة مستقبل أمته. ليكون قائداً حقيقياً للتغيير وحاملاً الرسالة سامية تتوارثها الأجيال، فالمعلم هو البداية والنهاية في قصة بناء الأمم.



اقرأ معي أبياتاً خالدة في وصف المعلم قرصها أمير الشعراء أحمد الشوقي وتأملها:

<p>كَاذَ الْمُعَلِّمِ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا يَبْنِي وَيُنشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا؟ عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلًا صَدِيءَ الْحَدِيدِ وَتَارَةً مَصْفُوعًا رُوحَ الْعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَمِيمًا جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبَصَائِرُ حَوْلًا فَأَقِمَ عَلَيْهِمْ مَأْمَمًا وَعُوبِلًا هَمَّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ دَلِيلًا أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْعُوعًا</p>	<p>فَمَ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجُّيلًا أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرُ مُعَلِّمٍ أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ وَطَبَعْتَهُ بِيَدِ الْمُعَلِّمِ تَارَةً إِذَا الْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا مَشَى وَإِذَا الْمُرِيءِ سَاءَ لِحُظِّ بَصِيرَةٍ وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبْوَاهُ مِنْ إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ</p>
--	---

إيالك وسجن بؤس

د. عبد العليم عبد العظيم البستوي

السجن! وما أدراك ما السجن؟ كلمة صغيرة تخفي وراءها مأس كثيرة، وتنطوي على خبايا وزوايا خطيرة، تاريخه قديم، ولا يخلو منه بلد ولا إقليم. يُساق إليه المفسدون في الأرض، الخارجون على الأمن والنظام، المعتدون على الحرمات والممتلكات، أو المدانون بالتعدي على حقوق الشعب والسلطات، ليقضوا فترة عقوباتهم. وينالوا جزاء ما اقترفته أيديهم، فيذوقوا وبال أمرهم؛ وليكونوا نكالا لغيرهم. نزلاؤه في مشارق الأرض ومغارها لا يحصون كثرة، وحكاياتهم على مر التاريخ تذيب القلوب وتملأ العيون عبرة، أحواله تقشعر لها الأبدان، وأهواله يتعوذ منها الإنسان، ولو كلف أحد الخارجين منه بوصف ما وجده أو شاهده هناك من العناء والعنت فلعله يسارع إلى تشبيهه بـ« جهنم »، فإنها أبشع وأسوأ مكان سمعت عنه البشرية. ولكن كيف يكون الحال إذا كان ذلك السجن في قعر جهنم نفسها؟ وهل في جهنم سجون؟

نعم، اسمع الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يخبرنا عن ذلك.

لقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قال: « يحشر المتكبرون يوم القيامة، أمثال الذرّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم، يقال له « بؤس تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة

أهل النار، طينة الخبال». رواه النسائي والترمذي واللفظ له، وقال: حسن صحيح.
 وبُولس: بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام، بعدها سين مهملة.
 والذر: هو النمل الأحمر الصغير وأحدها ذرّة.
 «ونار الأنيار» يعني «نار النيران» جمعت على «أنيار» رغم أن الكلمة واوية لكي
 لا تشتبه «بالأنوار»، جمع النور. وقيل لها «نار الأنيار» للمبالغة وكأن هذه النار لفرط
 إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها.
 كلمات بليغة موجزة تشق نياط القلب خوفاً وذعراً وتنذر بمصير سيء لمن
 يحكم عليه بهذا السجن، وهم المتكبرون، فما هو الكبر؟
 لقد سمع رجل رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
 من كبر» فقال: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ فقال رسول الله ﷺ:
 «إن الله جميل، يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم.
 واطر الحق هو دفعه وردده وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم، ولكن «التكبر»،
 أو «الاستكبار» من أقوى الدوافع لرفض الحق وعدم الإذعان له على مدى تاريخ
 البشرية كلها، فكان إبليس أول من: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ثم
 ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩]، ثم كان ذلك سنة جميع
 الطواغيت والمردة كما حفلت به عشرات الآيات من القرآن الكريم.
 وفي هذا الحديث تحذير شديد لمن يتصف بالكبر والتكبر أعادنا الله منه، ﴿وَلَا
 تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:
 ١٨].



الخطيب والخطابة

لقد غدا الاهتمام بالخطابة حاجة ملحة في العصر الحديث، وظاهرة وعظيمة متميزة، دعت إليها القيمة الفكرية التي تتجلى بها الخطابة بما تطرحه من مشكلات، وبما تضعه لها من حلول، وبما تعالجه من أفكار وقيم، ولما لها من الدور الهام والمؤثر في حياة الأمم وتوجيه الشعوب في مختلف المناسبات والأحداث.

ممدوح محمد نص الدين

تعريف الخطابة، نجد كثيراً من التعريفات لدى القدماء والمحدثين؛ من

القدماء:

أبو إسحاق و ابن سيده: ذهبوا إلى أن الخطبة عند العرب: هي الكلام المنثور المسجّع، ونحوه التهذيب، والخطبة عند الأزهري مثل الرسالة التي لها أول وآخر. «لسان العرب» (١/٣٦٠)، فحددا نوعية الكلام بكونه كلاماً منثوراً وليس موزوناً، وأنه مُسجّع يأتي على نحو من التهذيب والاختيار الدقيق لمعانيه ومرامييه: أي فنياً وليس عادياً يأتي كيفما اتفق، كما حدد الأزهري شكل الخطبة بأن لها بداية مقننة، ولها نهاية مضبوطة.

وفرّق الألوسي بين الخطاب والخطبة بقوله: الخطاب هو توجيه الكلام للإفهام، وبضم الخاء الوعظ المتسق على ضرب من التأليف، «تفسير الألوسي» (٢/٢٦٢). فالجانب الفني هو ما يميز الخطبة عن الخطاب.

وأما حديثاً فقالوا: «هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته. فلا بد

من المشافهة وإلا كانت كتابة، ولا بد من جمهور يستمع وإلا كانت حديثاً أو وصية، ولا بد من الإقناع، ثم لابد من الاستمالة». فن الخطاب د/ أحمد الحوفي ص ١١. ومنهم من أضاف الإمتاع فقال «يهدف الإقناع والإمتاع».

وإذا وقفنا ملياً عند هذا التعريف للخطابة وخاصة عند كلمة (الجمهور)، وعند قوله: «ولابد من جمهور يستمع وإلا كانت حديثاً أو وصية»، فكلمة الجمهور كما قال ابن منظور في معناها: «وجمهور الناس جُلُّهم، وجماهير القوم أشرفهم» «لسان العرب» (١٤٩/٤)، وقاله الأصمعي في الصحاح - ج ١ / ص (١٠٣).. فهي تعني جمعاً من الناس.

معاني حد الخطابة:

كلمة (فن): تمنع دخول الكلام غير الفني فهي تحدد النوع.
وكلمة (مشافهة): تمنع دخول الكتابة، وكل ما ليس بالمشافهة، فهي تحدد الطريقة.

وكلمة (الأخر): جمهوراً كان أو أفراداً قلة، وهي تحدد المتلقي من خلال دلالة رغبة لا تكون مثار خلاف.

وكلمة (استمالته): تبيين الأسلوب المتخذ، فهو يستخدم كل ما يُحقق له التشويق وجذب أفئدة الناس، «وحصر تفكيرهم في بوتقة واحدة تتفق والمعايير الدلالية التي تدور في ذهنه، وهي عنصر رئيس في مضمون الخطبة» الفنون الأدبية وأثرها في الحياة، فن الخطابة . . د/ عبد الرحيم محمود زلط، ص ٧. وهي الهدف التمهيدي والمنفذ إلى الإقناع كهدف أعلى.

وكلمة (إقناعه): تُبين الهدف من وراء الخطبة، وهو ثمرتها، وإلا كان الكلام هدرًا لا فائدة من ورائه، فإن نجاح الخطيب في تحقيقه فقد نجح؛ فهو معيار نجاح

الخطيب.

مقومات الخطابة:

ترتكز الخطابة في الحقيقة على عناصر ثلاثة هي: (المنطق - الحقائق - حسن العرض والإلقاء) حتى تصل بالمتلقي إلى الإقناع، ويُضاف إليها الخيال والعاطفة فتفعل في النفس أكثر مما يفعله الشعر من الإقناع.

- المنطق؛ هو: السبيل إلى صوغ الحقائق والأفكار على هيئة قضايا مُسلَّم بها يتقبلها العقل بلا رد ولا ريب، ويندرج تحتها قوة الدليل وحسن استثمار الشاهد، وترتيب الأفكار وتسلسلها منطقيًا، وعدم وجود فجوات أو انقطاعات أو التفاتات أو استطرادات بالدخول في موضوعات أخرى تشتت ذهن المتلقي.

- الحقائق؛ هي: لب الخطبة (المادة العلمية)، وهي الرسالة المراد إيصالها إلى المتلقي.

- حسن العرض والإلقاء؛ هو: الأسلوب الجذاب والطريقة الأنيقة التي يعرض بها الخطيب بضاعته (أفكاره والحقائق التي يريد إقناع الناس بها)، وأمَّا الخيال والعاطفة فهما من آليات الإمتاع والإقناع أيضاً، وقد يدخلان في حسن العرض.

أطراف العملية الخطابية:

(الخطيب والخطبة والجمهور):

- الخطيب (مكانته وصفاته): لم يكن الخطيب منذ الجاهلية واحداً من عامة الناس أو رجلاً عادياً؛ فهو الذي يتكلم بلسان قومه عند المفاخرة والمنافرة والمناظرة، وهو الذي يُسدي إليهم النصيح، ويحثهم على مكارم الأخلاق والتمسك بحميد الصفات، وهو الذي يتقدم وفودهم عند الدخول على الملوك أو أولي الأمر

فيهم، وهو الذي يستطيع أن يخمد نار الحرب بكلماته الحكيمة أو يشعلها بتحريضه، لذلك ارتبطت الخطابة بالحكام والقادة، فكان النبي صاحب الخطبة في عصره ثم الخلفاء كلُّ في عصره، ثم للحاكم من بعدهم.

وكانت مكانته مرموقة في قومه، قال أبو عمرو بن العلاء «الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب؛ لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويُفخِّم شأنهم، ويُهَوِّل على عدوهم من غزوهم، ويُهيِّج من فرسانهم، ويُخوف من كثرة عددهم، ويهايم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم، فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، وراحوا إلى السوق، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر، فلما جاء الإسلام صارت الخطابة أشرف من الشعر مكانةً لأن رسول الله ﷺ هو الخطيب الأول ثم الخلفاء الراشدون»، «البيان والتبيين» (٢٥١/١).

ولما كانت الخطابة مسموعة من قائلها، ومأخوذة من لفظ مؤلفها، وكان الناس يرمقونه، ويتصفحون وجهه؛ فقد استحبت العرب في الخطيب أن يكون من الفصحاء البلغاء الذين تدور الألفاظ على ألسنتهم بسهولة ويسر، ويعي كل كلمة تنطق بها شفتاه معانيها القريبة والبعيدة، ولكي تكتمل شخصيته الخلقية والخلقية والأدبية؛ كان لابد له من:

حسن الخلقة: كأن يكون حسن الهيئة مقبول الشكل، حسن الثياب والهندام؛ حتى يقبل الناس عليه، ويأخذوا عنه، وقد قيل: الخطيب مرآة قومه. وكان من سنن العرب في من يتصدى للخطابة لف العمائم على رؤوسهم، دلالة على الاهتمام والعزم -والإشارة في أثناء خطبهم بالعصي و المخاصر والقضبان والقسي.

استثمار الصوت وإدارة الطاقة: صوت الخطيب أداة خلافة تأخذ بألباب السامعين وتجذبهم إليه، وله سحر يأتي عن طريق جهازة الصوت وتنغيمه، والصوت

المدوي في المحافل عُدَّة لأبد منها، ولكن مع التطور واستعمال السماعات وأجهزة التوزيع الصوتي فإن الخطيب يحسُن به أن يوازن بين الجهد المبذول مع وجود السماعات وبين حاجة المتلقي، فلا يرفع صوته فوق حاجة المتلقين ويلتزم بين سعة المكان الذي يخطب فيه ونبراته الصوتية، وأن يتجه بصوته وبصره إلى وسط السامعين، لا إلى جانب دون الآخر ويعتدل في الوقفة لا يتكئ على رجل واحدة، ولا يميل بأحد كتفيه، وأن ينطق متمهلاً؛ لأن التسرع والعجلة تنقصان معاني الكلمات، وتستنفدان طاقة الخطيب، فلا يصل إلى آخر الخطبة إلا وقد أرهقت حنجرته وبع صوته، ولا يبخر الخطيب مخارج الحروف حقها فينقص من فصاحتها، ويتلعثم اللسان عند النطق بها، وعلى الخطيب أن يراعي نبرات صوته؛ فيعرف متى يشتد ومتى يلين، وكذلك الوقوف على تمام الجمل مراعيًا طول نفسه، ويتحفظ من زلات اللسان، وقد قيل لأعرابي: «ما الجمال؟ قال: طول القامة وضخم الهامة، ورحب الشدق، وبعد الصوت» الجاحظ: «البيان والتبيين» (١/١١٥) فهذه صفات امتدحها العرب.

وهناك عيوب تتعلق بالنطق وعدم الفصاحة، يجب على الخطيب أن يتجنبها حتى لا تعوق منطقه؛ وهي:

اللجلجة؛ ومعناها: التردد في الكلام.

والفأفأة؛ ومعناها: ترديد الفاء وإكثارها في الكلام.

والتمتمة: رد الكلام إلى الفاء والميم.

واللثغة: تحول اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو من حرف

إلى آخر. واللفف: العي والبطاء في الكلام فلا يبين.

والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته.

والحكمة: العجمة في الكلام.

ولذلك حرص الخطباء على سلامة أسنانهم طلباً لسلامة المخارج، فإن عبد الملك بن مروان لما شد أسنانه بالذهب قال: «لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت». المصدر السابق (ج ١/ ص ١٨). كما انتبه عمر بن الخطاب لأهمية الثنايا بالنسبة للخطيب. فقال للرسول ﷺ: «يا رسول الله أنزع ثنيتيه يُدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً»، الواقدي: المغازي: (ج ١) ص (١٠١)، وكان يتحدث عن سهيل بن عمرو، وكان من أخطب الناس وأشدهم على رسول الله قبل إسلامه.

وعلى من يتصدي لمواقف الخطابة أن يكون رابط الجأش قوي القلب، جريئاً على مواجهة الجماهير، قال أبو هلال العسكري: «وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جأشه: هدوءه في كلامه، تمهله في منطقه، فإن الحيرة والدهش يورثان الحبس والحصر، وهما سبب الإرتاج»، أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص: ١٥.

وعلى الخطيب أن يعلم الأقوال المقنعة والأخلاق الإنسانية، وأن يكون عارفاً بمصادر الانفعالات ومواردها والأهواء الإنسانية، ويكرهون أن يعبث الخطيب بلحيته وثيابه. وحسن التحضير وقوة التدريب تجنب الوقوع في هذه العيوب.

أركان الخطبة:

٢ . الخطبة: أركانها: (المقدمة والعرض والخاتمة)

أ . المقدمة: استحب العرب في الخطيب أن يفتتح خطبته بقول مأثور أو موقف مشهور حتى يجذب انتباه السامعين، وفي صدر الإسلام وما بعده جرت الألسنة على الافتتاح بحمد الله والثناء عليه، وقد اعتاد الناس ذلك حتى صار افتتاح الحديث بحمد الله دليلاً على أن صاحبه يريد الخطبة، كما استحب العرب أن يُشير الخطيب في مقدمته إلى موضوع العرض، وأن يخلص من المقدمة إلى العرض (الموضوع) في تسلسل وسهولة، وهذا ما يُطلق عليه حسن التخلص، كما

استحبوا أن يقصر جملها، ويزخرفها بالإيقاع والمحسنات اللفظية، لتطرب آذان السامعين، فهي أول ما يقرع آذانهم، وقد قال ابن الأثير مؤكداً ذلك: « على الخطيب أن يصرف عنايته إلى تحسينها - المقدمة - وأن يستخدم أساليب البراعة فيها حتى تكون عنواناً طيباً لما يُصيبُ أسمع الناس، فإن براعة الاستمهال من أخص أسباب النجاح في الخطبة » ابن الأثير: المثل السائر، ص: ٦٤.

ب - العرض (الموضوع): هو الرسالة التي يريد الخطيب إيصالها من خلال خطبته، ولا بد في هذه الرسالة أن تكون واضحة مدعمة بالبراهين والشواهد، وأن يتناول الموضوع من زواياه المختلفة بما لا يترك استفساراً لسائل حتى يصل إلى الإقناع، وعليه أن يلبس ذلك كله حلة التشويق والإمتاع والإثارة من خلال الأساليب الإنشائية (الاستفهام، التعجب، النداء...) والبيانية (التشبيه والكناية والاستعارة...) وغيرها، وأن يحصر أذهان المتلقين في هذا الموضوع ولا يتشعب أو يتطرق إلى غيره، فقد كره النقاد القدامى والمحدثون أن يتنقل الخطيب من موضوع إلى آخر كما كان الحال قبل الإسلام، بل لا بد من وحدة الموضوع، والانتقال بين أفكاره الموضوع الواحد. وعناصره بتسلسل منطقي يبرز وحدة الموضوع، ويسر على العقل قبول هذا الانتقال، كما يستحب أن يقسم الموضوع إلى عناصر يؤدي بعضها إلى بعض حتى يتسنى له التسلسل المنطقي، وحتى لا ينسى (إن كان مرتجلاً) عنصراً من عناصر الموضوع قد يؤدي نقصه إلى خلل.

- وليس للخطابة موضوع دون غيرها فقد قال ابن رشد نقلاً عن أرسطو: « وليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره فإنها لا تخيم عن النظر في كل العلوم والفنون، ولا شيء حقيراً كان أو جليلاً... » محمد أبو زهرة: الخطابة، ص: ٢٠، وذلك حق لا ريب فيه؛ فإن كل مسألة عامة، أو لها صلة بالشأن

عام، يصح أن تكون موضوعاً للخطابة.

ج. الخاتمة: هي نقطة الفراق بينه وبين المتلقين، وعليه أن يجمع أطراف الموضوع في كلمات موجزة يبرز فيها خلاصة ما دار في عرض الخطبة، ويلتزم فيها بأن يعيد الناس إلى حالتهم التي كانوا عليها بعد أن أثارهم وشد انتباههم في أثناء العرض.

٣. الجمهور: هو متسلم الرسالة، ولا بد أن يُخاطب على قدر عقله، وعلى قدر مستواه الثقافي والاجتماعي: « فإن الحديث الموجه إلى الطبقة الرفيعة يجب أن يكون معتياً به بدون استعمال ألفاظ عادية يظهر فيها عدم الكلفة. وليس لمن حدّث الملك أن يفسد ألفاظه وكلامه بأن يقول في حديثه: فاسمع مني، افهم عني، يا هذا، ألا ترى»، الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص: ١١٢.

كما عليه أن يبتعد عن التعر في اللغة حينما يكون الجمهور من العامة، فإذا كان الجمهور لفيماً من المستويات الثقافية والاجتماعية المختلفة فعليه أن يتنقل بين المستويات الخطابية معطياً كل مستوى ما يناسبه، وإلا فإفاد المقصود ولم تصل الرسالة، كما يجب عليه أن يراعي الحالة الشعورية والعاطفية للجمهور من حيث الفرح والحزن وغيرها مما يسي مراعاة مقتضى الحال: فالجمهور له أثر كبير في مستوى الخطبة الفني، وتوجيهها الموضوعي.



توجيهات تربوية نبوية

رؤى سبقت عصرها

بقلم: الدكتور أحمد علي سليمان - مصر

لم يتزين التاريخ الإنساني بأعلم ولا أحكم من سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فقد جمع إلى سعة العلم، وبديع الفهم، وفنون المعرفة؛ حسن الخلق، ولطف التعامل، والرفق في التربية والتعليم، والتواضع للمتعلمين.

ولما كانت رسالة الإسلام عالمية وخاتمة للرسالات وجاءت للدنيا كلها، فقد كانت أساليب النبي العظيم، وطرقه في التربية والتعليم والدعوة والتهذيب؛ هي الأخرى عالمية تناسب عالمية الرسالة والرسول، وتتسق مع صلاحيتها لكل زمان ومكان.

ولقد حرص النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) على الاهتمام بأهم عناصر العملية التربوية والتعليمية: المتعلم، والمعلم، وكانت إشارات بإمكانة طالب العلم والعلماء بمثابة رفع الدافعية لديهما، والإشادة بصنيعهما.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). (أخرجه الإمامان).

السبق النبوي في ابتكار أرقى موجهات التعليم:

ولقد سبق النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخدام أرقى طرق التعليم وتطبيقها قبل العالم بمئات السنين، ولم لا وهو الذي أرسله الله بالقرآن العظيم، كلام الله الخالد، الذي يُنير القلوب، والعقول، والنفوس، ويُنير الأبصار والبصائر والضمائر، ويجعل صاحبه في معية الجناب الأعلى جل وعلا، يرضى بقضائه، ويصبر على بلائه، ويشكره على نعمائه، ويقنع بعطائه يؤمن بالغيب كما يؤمن بالشهادة.. ومن ثم يعيش هادئ النفس، مستريح البال.. بعيداً عن الاضطرابات والصراعات النفسية والفراغات الروحية؛ لذلك علمنا نبينا الكريم السياحة الدائمة في كتاب الله المنظور: وهو الكون البديع، والسياحة المستمرة في بحار كتابه المسطور: وهو (القرآن الكريم)؛ لنظل على الدوام في معية الله العظيم.

ومما سبق إليه أستاذ المرين سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخدام منهجيات التربية الرشيدة وطرقها وأساليبها:

- . رفع الدافعية لدى المتعلم.
- . مراعاة الوقت المناسب، والظرف المناسب، والمكان المناسب.
- . مراعاة تنوع البيئات.
- . مراعاة اختلاف قدرات الناس في العلم والحفظ والاستيعاب والفقهِ والعمل، وأن ما يصح لهذا قد لا يصح مع ذاك.
- . تفريد التعليم وضرورة مناسبة أساليب الخطاب والتربية والتوجيه والدعوة لكل حالة على حدة.
- « ومن ذلك أيضاً:
- . التعليم بالرفق.

- . التعليم بالتواضع.
- . التعليم بالحوار الهادئ المقنع.
- . التعليم بالحب.
- . التعليم بحسن المعاملة والرحمة.
- . التعليم بالتشبهات اللطيفة.
- . التعليم بالمداعبة.
- . التعليم بتناسق العبارات والشجع الحسن.
- . التعليم بالتمثيل والصورة الجميلة.
- . التعليم بالاستفهام وإثارة الانتباه.
- . التعليم بالوسيلة التعليمية.
- . التعليم باغتنام المناسبة.
- . التعليم بالقصة.
- . التعليم بتغيير الهيئة.
- . التعليم بالتكرار.
- . التعليم بإظهار الغضب والانفعال.
- . التعليم بإجابة السائل بما يتناسب مع إمكاناته العقلية.
- . التعليم بالتخول - أي: بالتعهد - بالموعظة.
- . التعليم بالقدوة.

(انظر ذلك مفصلاً في: د. ناصر بن مسفر الزهراني: السيرة النبوية اليسيرة ، ص

٧٩٠-٧٩٨)

نماذج تطبيقية:

- جاء أعرابيان إلى رسول الله (ﷺ). فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟، قال: (من طال عمره وحسن عمله). وقال الأعرابي الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمُرني بأمر أتشبهت به، فقال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عز وجل». (أخرجه ابن مفلح في الآداب الشرعية، ١٤٢٥، إسناده جيد)

وعندما سأله عقبة بن عامر (رضي الله عنه): يا رسول الله ما النجاة؟، فقال له: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك. وابك على خطيئتك». (سنن الترمذي).

- وجاءه رجل فقال أوصني يا رسول الله، فقال: «لا تَغْضَبْ». فَرَدَّدَ مِرَارًا، قال: «لا تَغْضَبْ». (صحيح البخاري)

وهنا استخدم النبي العظيم التعليم بالتكرار نظراً لخطورة هذه القضية، إذ إن الغضب قد يؤدي إلى عظيم المشكلات؛ لذلك وهو يُعلم أصحابه والمسلمين من بعده كان حريصاً على تعليمهم وتدريبهم على كظم الغيظ، وعلى مجاهدة النفس وضبطها - فهي أشد من مجاهدة العدو - وعلى البعد عن الغضب، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه): «أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: (ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ). (البخاري)

فلا تظنوا أن الرجل القوي هو ذلكم الرجل الذي يتمتع بقوة بدنية كبيرة يستطيع بها أن يصرع الآخرين، ولكنه الرجل القوي في إرادته، القوي في رحمته الحكيم في تصرفاته وفي الحفاظ على علاقاته، متحلياً بأخلاق النبوة، قادراً على التحكم في نفسه عند الغضب وعند المشكلات والملمات والأزمات، الحليم الكاظم غيظه، المانع نفسه عن إيذاء الناس، ومن ثم فإن مقاومة الغضب وامتلاك النفس عند وقوعه تعد من فضائل الأعمال الصالحة التي يثاب عليها الإنسان. وهنا تأتي أهمية التربية على المسارعة إلى مغفرة الله بمقوماتها الواردة في قول الحق تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

- ولما قال له أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) أوصني يا رسول الله، فقال له النبي العظيم: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ». (حديث حسن لغيره)

وهكذا كان النبي (عليه الصلاة والسلام) يراعي الفروق الفردية بين الناس، ويُراعي حال السائل، وطبيعة بيئته، ونمط شخصيته، وما يصلح له، وما يُصلحه. ونظرًا لأهمية العبادات والشعائر في الإسلام فقد حرص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، على أن يعلم أصحابه والمسلمين من بعده أنها ليست شعائر جامدة تؤدى داخل المساجد فقط؛ أو اختزالها في ذلك؛ بل علّمهم بشتى الطرق التربوية لتقريب المضامين والأهداف والمرامي والغايات والمقاصد من ورائها بحيث تكون قريبة إلى عقل المتلقى ووجدانه، باعتبارها وسائل إصلاح الشخص وصلاحه، وموجهات للإنسان إلى طريق الله.. إلى طريق الإيمان.. إلى طريق مراقبة الله.. إلى طريق حب الخير للناس... موجهات للإنسان إلى طريق الجنة التي أعدها الله للمتقين. فالصلاة معراج المسلم لربه، ومن ثم يجب أن تكون موجهة لنا نحو الإصلاح والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وأنه رُبَّ قائم ليس له من صلاته إلا القيام والقعود، وأن من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليس له صلاة، وأن الصيام

يجب أن نعيشه ونعائشه ويعيش فينا، في سلوكنا وقلوبنا ووجداننا وفي كل جوارحنا على الدوام؛ ليشعر الغني بالأم الفقير ويدفعه إلى العطاء والسخاء، ومن ثم يكسب الشخص أخلاقاً نبيلة، ويربي الضمير في نفسه ويوقظه ليظل حياً يقطاً في كينونته، ومن ثم يحقق لديه خصيصة المراقبة والإحسان وينمها على الدوام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُوْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ. وَتَصُومَ رَمَضَانَ) فَال، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: (الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...» (البخاري)، وما أحوجنا إلى الارتقاء لمقام الإيمان، ومقام الإحسان! وما يقال عن الصلاة والصيام يقال عن بقية الشعائر.



تجليات نورانية وتأملات إيمانية في دعاء زكريا عليه السلام

بقلم: أ. د. آمال محمد عينية - مصر

لا ريب أن ذكر الله ودعاءه هو أفضل ما تقرب به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، وخير ما أمضيت فيه الأوقات وصُرفت فيه الأنفاس، وهو كذلك مفتاح لكل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة: "فمتى أعطى الله العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله بقي باب الخير مرتجاً دونه". فيبقى مضطرب القلب، كثير القلق. ضعيف الهمة والإرادة، أما إذا كان محافظاً على ذكر الله ودعائه وكثرة اللجوء إليه فإن قلبه يكون مطمئناً بذكره لربه، وينال من الفوائد والفضائل والثمار الكريمة اليانعة في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والدعاء ذلك الرابط الوشيج بين العبد وربّه، به تتحقق الأمنيات، وتتحسن الأحوال. وتهبأ النفوس، وتعرف فضل ربها عليها.

إن الدعاء في اللغة يُرادف الصلاة، فصلى فلان على فلان: بمعنى دعا له، وقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]: أي: ادعُ الله لهم. والصلاة في اللغة: العطف، فإن أضيف إلى الله تعالى سمي رحمة، أو إلى الملائكة سمي استغفاراً. وقد كفل الله تعالى لمن يدعوه - بقلب خاشع، وفؤاد حاضر - أن يستجيب

له، ويُعطيه ما يصبو إليه: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. إلى غير ذلك من الآيات التي تشجع على الدعاء وترغب فيه.

وكذلك، فقد رغبت السنة المطهرة في الدعاء وحثت عليه؛ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضلُ العبادة الدعاء» رواه أحمد في المسند. و"البخاري" في الأدب المفرد". وقال أيضاً: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء" أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وقال: «إن ربكم - تبارك وتعالى - حيٌّ كريم؛ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

ولهذا فإنَّ الأذكار الشرعية والأدعية النبوية لها منزلة عالية في الدين ومكانة خاصة في نفوس المسلمين؛ فقد بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِهِ ما ينبغي لهم أن يرددوه من ذكر ودعاء في كل الأحوال والأوقات. كما بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراتب الأذكار والأدعية وأنواعها وشروطها وآدابها، وترك أُمَّتِهِ في هذا الباب وفي جميع أبواب الدين على محجة بيضاء وطريق واضحة، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

ويقدم القرآن عدة أمثلة عن عطايا الله تعالى لعباده المؤمنين حين كانوا في ذروة اليأس والقنوط وفقدان الأمل من الحصول على ما يريدونه ويتمنونونه، وذكريا ويحيى عليهما السلام قدوتان يقدمهما لنا القرآن الكريم لكل إنسان يريد أن يسير على طريق الكمال، وشمعتان تنيران الطريق لمن أراد الوصول إلى المحبوب الأوحد، رسمهما لنا القرآن الكريم لاستعراض جنبات مشرقة من هذه الشخصيات العظيمة التي يخصصها سبحانه بالذكر ويبرزها لنا نموذجاً يحتذى به من النماذج التي تنير طريق الهدى والحق لمن يسلكه، فيقص علينا القرآن الكريم نبأ النبي زكريا عليه السلام عندما تقدم به العمر، وأخذ الشيب من رأسه كل مأخذ، وكانت زوجته

أيضاً قد تقدم بها السن، ولم تلد له من الولد ما تقر به عينه، ويحمل من بعده اسمه، فهذا هو عما قريب سوف يطوي صفحة الأيام. ويمضي إلى حياة غير هذه الحياة، فمن الذي يقوم على وراثة حكمته، والاضطلاع بأمانته؟ وهؤلاء مواليه وبنو عمومته أشرار فجار؛ لا بد لهم من وازع يردعهم عن غيهم، ولو خلوا ونفوسهم الشريرة فإنهم يمحون الشريعة، وينشرون الفساد، ويغيرون معالم الكتاب. وقد عبر القرآن عن هذه الحالة التي كان يعاني منها زكريا بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٤-٦].

وقد جاء هذا الدعاء بعد أن رأى زكريا عليه السلام ما يحدث عند مريم عليها السلام من العجب العجاب، حيث كان كلما دخل عليها رأى فاكهة الشتاء حاضرة عندها في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء؛ فتملكته الدهشة والاستغراب، ثم سألها: من أين لك هذه الفاكهة، وهذا الرزق؟ فأخبرته بأنه من لدن الله تعالى، قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فنراه جل وعلا يذكرنا برحمته التي سبقت لعباده الصالحين مفتتحاً هذا السجل المشرف مخاطباً نبيه الكريم بأن هذا ذكر لرحمة ربك لعبده زكريا عليه السلام، هذا العبد المطيع لربه، المخلص له جل وعلا في جميع أموره وفي كل أحواله. هذه هي الشخصية المؤمنة العاملة المشار إليها بالبنان، ويفهم من سياق الآيات التي تذكر فيها قصة زكريا عليه السلام ودعاؤه الله سبحانه وتعالى طالباً الذرية، أنه عليه السلام كان مستجاب الدعوة، وهذا بحد ذاته دليل على مقام عال ورفيع.

ولنلتمس من الأنوار الساطعة من هذه الشخصية. ولنرى بعض الذي استحققت عليه، التكريم والتبجيل منه سبحانه وتعالى، حتى أشار إليها في كتابه الكريم وخصها بالذكر العلي، وأعطاهها هذه المكانة لكي تكون أول من ذكر في هذه السورة المباركة، سورة مريم. فهناك عدة تجليات نورانية أشار إليها سبحانه وتعالى في هذه الآيات، يلحظها المتأمل لها ويلمحها على النحو التالي:

أولاً: الرحمة الإلهية:

أول ما يجذب الانتباه في هذه السورة الكريمة - كما في غيرها من السور القرآنية - الكلام البليغ المنقطع النظير وهو ما حير عقول البلغاء في عصر نزول القرآن وفي كل عصر. وما يهمننا هنا هو لطافة وعدوبة الألفاظ التي أوردها سبحانه عند الحديث عن عباده المصطفين المخلصين، والتي تفيض محبة وحناناً وعناية، فهو سبحانه يبدأ الكلام في هذا المقطع الذي يخص التكريم لأولياءه الصالحين - بالقول: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]. فهو سبحانه يذكر الرحمة وهو لفظ يبعث في النفس البشرية الطمأنينة والانشراح مما يجعلها تشتاق لمعرفة باقي الكلام؛ ما هي هذه الرحمة؟ ولمن توجهت ولماذا؟ فإذا بتتمة الكلام تأتي لتقول إنها رحمة الرب، الرب الخالق. الرب المربي، الرب الرحيم، ثم هو ربك يا نبي الرحمة، يا من يخاطبك الله في قرآنه، فيقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أن الخطاب موجّه له صلى الله عليه وسلّم ولكنه غير مختص به، فهو موجه لكل من بلغه الخطاب، وهو رب الرحمة وهو الرحمن الرحيم، هذه الرحمة تشمل هنا في هذه الآيات، هذا العبد المكرم منه سبحانه وتعالى.

ثانياً: العبودية:

هذه الصفة العظيمة التي متى ما استطاع الإنسان أن يتصف بها بكل

وجوده أوصلته أكثر فأكثر إلى الكمال الذي يبتغيه ويريد الوصول إليه، ألا وهو كمال العبودية، فهي حلقة الوصل بينه وبين معبوده الأوحد.

فمتى ما كان عبداً توجه إلى ربه ووصل إليه فيرحمه فينعم ويهنا، فمتى ما تحققت هذه المعادلة ومتى ما توفرت هذه المقدمة؛ ألا وهي إحساس العبد بعبوديته لمولاه الحق؛ فإن النتيجة لا تتخلف أبداً عن مقدمتها وهي هنا حصول الرحمة من الرب الرحيم.

ثالثاً: الدعاء:

العبودية صفة عظيمة، ولكن كيف يتصف الإنسان بها؟ يجب أن تكون هناك مقدمات - شأنها في ذلك شأن أية صفة أو فضيلة - وهذه المقدمات كما تدلنا هذه الآيات الكبيرة في معانيها، الصغيرة في عدد حروفها، على النحو التالي:

١ - الإحساس بالفقر والاحتياج المطلق أمام الغني المطلق ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الإنعام: ١٣٣]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. أن يحس الإنسان أنه في أدنى درجات النذل أمام الرب الجليل، فإذا أحس بهذا حقيقة جعله هذا الإحساس محتاجاً إليه تعالى في جميع أموره.

٢ - أن يعلم بأنه سبحانه قادر على أن يحقق له ما يريد، بل لا قادر سواه، فإذا علم بهذا توجه إليه ولم يتوجه إلى سواه، ولن يطلب شيئاً من غيره.

٣ - أن يعلم بأنه سبحانه عالم بضعفه وفاقته، فإذا علم بهذا لانت نفسه وانقادت.

٤ - أن يعلم بأنه سبحانه رحيم ودود، فإذا علم بهذا اطمأن بأنه لن يرده خائباً.

فإذا تمت هذه المقدمات توجه إلى ربه الغني القادر العليم الرحيم، فإذا به

يناديه، ويطلب منه ويرجوه ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ بَدَاءَ خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. فهو سبحانه موضع الشكوى والشكوى إليه افتخار للمؤمن، فيبدأ يبث شكواه مبيناً ضعفه مسترحماً إياه بذكر الشيب وحاله التي هو عليها، وفي نفس الوقت مستحضراً ما مضى من ساعاته في أيامه ولياليه التي كان يدعو فيها ربه ويتلذذ بدعائه ومناجاته فيسعد ويهنأ، فهذا العبد - زكريا عليه السلام - هو عبد تكرر وقوفه على باب ربه ولم يكن من الأشقياء ولا من أهل الجفاء، ثم يسترسل بوصف حاله وما آل إليه أمره، فيعرضها على الرب العليم، فهو لا يمل من التضرع والحديث مع المولى عزّ وعلا.

رابعاً: هموم المؤمن الرسالي:

الإيمان الحقيقي بالله سبحانه وتعالى حالة قلبية ومقام تصل إليه النفس البشرية بعد إدراك سلسلة من الحقائق - حقيقة وجودها، حقيقة خالقها، نقصها واحتياجها، وغناه وكماله - وبعد تنبهه ويقظة. فإذا وصلت النفس إلى هذا المقام أحست براحة ولذة عظيمة لا تقاس بها لذة من اللذائذ المادية. وكلما أحس الإنسان بحقيقة هذا الإيمان تراه يتوغل فيه فيملاً شغاف قلبه ويسد ثغرات روحه ويغشى كيان نفسه ويستوعب دقائق أفكاره، فهو لا يكاد يحسّ بشيء ولا يفكر بأمر ولا يحلم ولا يتمنى إلا في هذا الإطار الإيماني، فتكون نظرتة للأمور من هذا المنظار. لذا فهي نظرة رحمانية حقة.

كما نستلهم بعض الدروس الإيمانية التي يكشفها لنا القرآن الكريم، من خلال تأمل قصة زكريا عليه السلام، ومن هذه الدروس المشرقة.

الدرس الأول: الصبر

والصبر وسام تزين به عباد الله المقربون، فهم مع مكانتهم من الله سبحانه وتعالى ومع أنهم واثقون من استجابته عزّ وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً

طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿[آل عمران: ٣٨]، فهم مترددون على بابه في كل حين، لا يكلون ولا يملون من مناجاته، يقضون ساعات ليلهم ونهارهم مستأنسين بذكره وتسبيحه، مع هذا تراهم لا يطلبون منه مثلما يطلب غيرهم حيث إنهم لا يتوجهون إليه سبحانه إلا إذا كانت لديهم حاجة.

الدرس الثاني: وقت الدعاء

توقيت الدعاء: بعد صبر طويل وانقضاء عنفوان الشباب حتى كهولة السن. نرى زكريا عليه السلام يقرر أن يدعو ربه ليرزقه الذرية، فما الذي جعله عليه السلام يختار هذا الوقت بالذات. هل كان المقام المعنوي الذي كان يشاهد آثاره في الأرزاق الإلهية التي كان يجدها عند تلميذته ومكفولته مريم عليها السلام؛ هو الباعث لزكريا عليه السلام في أن يشرع بالدعاء؟ أم أن كلمات هذه القديسة العاملة المهذبة هي التي أثارت في معلمها وكافلها ما دفعه لأن يطلب ويتضرع لبارئته؟ أم أن زكريا عليه السلام العالم العابد قد استشرف من كل ما يرى من حالات مريم عليها السلام قرب تحقق الوعد الإلهي بولادة المسيح الموعود؟ تساؤلات يثيرها السياق القرآني، وما هو متيقن هو وجود ارتباط وثيق بين الأرزاق الإلهية لمريم عليها السلام وبين دعاء زكريا عليه السلام وما يؤيد هذا كلمة - هنالك - التي تفتح بها الآية ٣٨ من سورة آل عمران ﴿هُنَالِكَ -دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً . إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

الدرس الثالث: تقديم الأهم على المهم

تُعلمنا الآيات التي هي محل بحثنا هنا - والتي تخص شخصية زكريا عليه السلام - أن المؤمن يعرف كيف يختار طريقه إذا وصل إلى مفترق الطريق بين الصير وطلب الحاجة من الله سبحانه وتعالى، فكلما الأمرين حسن، ولكن المؤمن يجب أن

يقدم الأهم على المهم، فهنا لما أحس زكريا عليه السلام أن الأهم هو أن يدعو فقام به، ولكن مع التوكل على الله سبحانه في جميع أموره، ومع الثقة الكاملة باستجابة دعائه إن كان فيه مصلحة، وأن المصلحة هي في ما قدر الحكيم العليم.

الدرس الرابع: أدب الدعاء

من آداب الدعاء أن يعرف الإنسان مَنْ الذي يتوجه إليه بدعائه، وممن يطلب قضاء حاجاته، فكما أن الإيمان يجب أن يكون حاضراً في كل أحوال الإنسان المؤمن؛ فكذلك العلم فهنا نجد علم زكريا عليه السلام وإيمانه في كل مفردة ينطق بها مع أدب عظيم، وخلق رفيع، ويقين ثابت بالقدرة الإلهية، وهذه الأمور من الأمور التي تؤكد عليها الروايات التي في أيدينا، والتي ترشدنا إلى الكيفية المرضية عند الله سبحانه للدعاء. فعندما ندعو يجب أن نعرف أولاً لمن نتوجه في دعائنا، وهذا ما نلمسه بوضوح في هذه الآيات التي تعرضنا لها سابقاً في سورة آل عمران وسورة مريم، والتي تصف لنا كيفية دعاء زكريا عليه السلام بالإضافة إلى حالة الداعي وكيف أنه يجب أن يكون بين الخوف والرجاء أو فنقل بين الثقة بأن الله سبحانه لن يخيب عبده بما له من قدرة وبما جربه العبد من رحمته جل وعلا، وبين ألا يحتم العبد على مولاه أن يستجيب دعاءه، وهذا درس آخر من دروس العبودية، يجب على كل عبد أن يتعلمه. وهو درس مشترك بين العبودية والدعاء. وفي هذا ما قد يفسر لنا ذكر زكريا عليه السلام لكبره وعقم زوجته مرتين: مرة في دعائه، وأخرى بعد إشارة الملائكة له باستجابة الله سبحانه لدعائه وأنه سيرزق الولد.

وللدعاء طائفة من الآداب، ينبغي للمسلم أن يستحضرها ويتمثلها إبان دعائه، نتعرفها في تطبيقنا لهذا النموذج الجميل من القرآن الكريم.

١ - توكل العبد على الله تعالى في كل أموره

إنه رسول من مجموعة رسل بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّن الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٥]، وقد عاش - عليه الصلاة والسلام - رذخًا كبيرًا من الزمن لا ينجب، وبلغ به العمر أقصاه، فعظامه لانت، وقوته خارت، ورأسه غزاه الشيب. وقد كان يتمنى أن يُرزق غلامًا رشيداً ناهياً، يرت منه النبوة والعلم. فذكرى عليه السلام قد شرح أسباب دعائه، وعرض ضعفه على القوي، فهو واهن العظم، أشيب الرأس. يخاف الموالي، وامراته - فوق كل ذلك - عاقر لا تنجب. وهو يطلب الولد.

٢ - إحسان العبد ظننه بالله حتى في أصعب المواقف

فذكرى حالته - كما يقولون - مستعصية أو مستحيلة! ولكن الله تعالى من بيده مفاتيح كل شيء، إذا أراد شيئاً حدث لتوه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وليس على الله بعزيز أن يستجيب دعاء عبده إن علم فيه الصدق. وحسن اليقين به، حتى ولو كان في عُرف الناس من المستحيلات لأنك إن استشعرت بأنك تدعو عظيمًا قادرًا؛ فإنه سيستجيب لك، حتى ولو كان القدر يجري على خلاف؛ ذلك؛ فقد قال الرسول الكريم ﷺ: «ولا يرد القدر إلا الدعاء».

٣ - الإلحاح في الدعاء

فقد نادى الملائكة سيّدنا زكريا عليه السلام - حتى تبشره بقبول الله تعالى دعاءه - وهو قائم يدعو ربه في المسجد؛ قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّن

الصَّالِحِينَ ﴿آل عمران: ٣٩﴾، ولكنه استغرب ودهش إذ كيف يمكن أن يكون شيخ كبير، وامرأة طاعنة في السن، وفوق ذلك عاقر لا تنجب - كيف يمكن أن يحدث استجابة الدعاء؟! لقد عبر القرآن الكريم على لسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ اتَى بِكُونٍ لِي غَلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، ولكن الله تعالى يذكره بأن كل الأمور ممكنة ما دام العبد متوكلاً على ربه محسناً ظنّه به، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، فلقد استجاب الله تعالى دعاء زكريا وفق ما يتمناه وقد بشره ببشارات كثيرة.

٤ - أن يدعو بما هو مباح

تمني زكريا الولد هو من قبيل المباحات، وليس من المحرمات أو الممنوعات، إن زكريا عليه السلام مثال للعبد الملح في الدعاء غير يائس ولا قانط: إذ استجاب الله كل دعاء، بدعوه، قال تعالى على لسانه: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]. وكيف يقنط مسلم من دعائه. وقد كفل الله تعالى استجابة الدعاء له؟ وكيف ييأس مسلم من دعائه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. لقد علم أنّ الله تعالى بيده مقادير كل شيء، وقد كانت مريم - عليها السلام - هي المنبهة له في هذا الأمر، فالذي يجلب فواكه الشتاء في سواء الصيف. قادرٌ على أن يمدّه بغلام تمنى لو يأتي؛ فهو لم يستغرب لليأس. ولم يحسد مريم على ما آتاها الله تعالى، ولم يكن لها مشاعر الغيظ والحقد، ولم يتخل عنها ويعلن استغناءه عن كفالتها، بل ذهب يدعو، والدعاء متاح لكل الناس: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].



روائع من الأدب العربي

وقال أحمد أمين عن الشمس: وهي - شتاء - تطلع علينا بوجه آخر، ترينا فيه جمال الحنو، وجمال الدعة، وجمال الرحمة والعطف، وجمال الغادة اللعوب، تشاغلك فتظهر وتختفي، وتسفر وتتجب، وتخرج من قناعها ثم تتقنع.

تتلون بشقى الألوان فتسحر العقول، وتبهر العيون؛ فهي تارة بيضاء، وتارة صفراء، وتارة حمراء؛ ثم لا تستطيع أن تحكم هي في أيها أبهى وأجمل، فهي تُزين ثيابها بأكثر مما تزينها ثيابها. فتحتُ النافذة قبل أن أكتب مقالي؛ فتدَفَّقَتْ في حجرتي أشعتها الفضية اللامعة، وملأتها روحًا وحياء، وملأتني دفنًا، وملأتني معاني، وكانت حياتي في حجرتي قبل زيارتها حياة مظلمة باردة جامدة، لا معنى فيها ولا روح.

فما أعظمك! وأعظم منك مَنْ خَلَقَكَ!



أمَّا بعد: فكفى بالتجارب تأديبا، وبتقلب الأيام عظةً، وبأخلاق من عاشرت معرفةً، وبذكرك الموت زاجرًا. الجاحظ



وقال أحدهم: الكلام كثيرة فنونه، قليلة عيونه، فمنه ما يُفكِّهُ الأسماع، ويؤنسُ القلوب، ومنه ما يُحمِلُ الأذان ثُقلا، ويملأ الأذهان وحشةً.



حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضْرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

أبو الأسود الدؤلي



"قال بعض الوزراء: يا غلام، ائني بأنسِ الخلوة ومجمع السلوة، فظنَّ جلساؤه أنه يستدعي شرابًا! فأتاه بسفطٍ فيه كتب" - تقييد العلم، الخطيب البغدادي، ص: ١٢٥.



مبنى دار الحديث الشريف



